المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN:2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص296-307

# سياسة التحصينات الدفاعية لدى أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس بين القرنين 2-4هـ/ 8-10م
## دراسة في مظاهر التنوع وفاعلية الأداء

# The policy of defensive fortifications among the Umayyad princes and caliphs in Andalusia between the 2-4 centuries AH/8-10 AD
## A study in the aspects of diversity and effectiveness of performance

ميلود بن حاج

جامعة الشهيد زيان عاشور - الجلفة (الجزائر)

m.benhadj@univ-djelfa.dz

**معلومات المقال**

**تاريخ الارسال:**
2021/10/08
**تاريخ القبول:**
2021/11/28

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ التحصينات
- ✓ البحرية
- ✓ الأربطة
- ✓ الأندلس

**الملخص:**

تعالج هذه الدراسة سياسة التحصينات الدفاعية التي قام بها أمراء وخلفاء بني أمية والتي تمثلت أساسا في تشييد أسوار المدن، وبناء القلاع، والأبراج العسكرية، والأربطة البحرية، زيادة على عنايتهم ببناء المدن الساحلية، وترميم بعضها، كما ازدهر نشاط البحرية الأندلسية، وبرزت مظاهر قوة هذا النشاط في فترات حكمهم خاصة في عصري الأمير عبد الرحمن الأوسط، والخليفة عبد الرحمن الناصر، وشاركت بعض الجماعات البحرية المعروفة في الأندلس في تلك العصور في إرساء دعائم قوة هذه البحرية، ولقد تميزت تلك التحصينات بالتعدد، والتنوع من حيث طبيعة البناء، والفاعلية في الأداء والوظيفة، إذ عجزت القوى الأجنبية المسيطرة في ذلك الوقت كالإفرنج، والنورمان، وحتى الفاطميين في المغرب على اختراق تلك التحصينات.

**Article info**

**Received:**
08/10/2021
**Accepted:**
28/11/2021

**Key words:**
- ✓ Fortifications
- ✓ Marine
- ✓ Ligaments
- ✓ Andalus

**Abstract:**

This study deals with the policy of defensive fortifications carried out by the Umayyad princes and caliphs, which consisted mainly in the construction of city walls, and the construction of castles, military towers, and sea ligaments, in addition to their interest in building coastal cities and restoring some of them. Activity during their reign, especially in the eras of Prince Abdul Rahman al-Awsat and Caliph Abd al-Rahman al-Nasir, and some well-known maritime groups in Andalusia in those ages participated in laying the foundations of the strength of this navy. The dominant foreign powers at that time, such as the Franks, the Normans, and even the Fatimids in Maghreb, were unable to penetrate those fortifications.

# سياسة التحصينات الدفاعية لدى أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس بين القرنين 2-4هـ/ 8-10م

## مقدمة

اهتم أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس بتشييد العديد من المنشآت، والتحصينات الدفاعية لحاجة البلاد في تأمين الحدود خاصة منها السواحل البحرية نظرا لكثرة تعرضها إلى اعتداءات الأجانب كالنورمان الشماليين والإفرنج أو من جيرانهم في العدوة المغربية كالفاطميين وغيرهم، كما أنهم اعتنوا بالبحرية من خلال بناء الأسطول الرسمي، وتدعيمه بدور صناعة السفن، وتوفير المواد الأولية اللازمة كالخشب، والحديد.

ومن خلال ما سبق يمكن طرح إشكالية عامة للبحث مفادها: **ما طبيعة التحصينات الدفاعية، والمنشآت العسكرية العمرانية التي ركز عليها أمويو الأندلس لوقف غزوات الأجانب خاصة منها البحرية؟ وإلى أي مدى أثبتت فعاليتها في صد هذه الاعتداءات؟**

وتبرز أهم أهداف هذا البحث بأنه يسلط الضوء على ظاهرة تنوع التحصينات الدفاعية العمرانية التي شيدها أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس بين القرنين 2-4هـ/8-10م، زيادة على كشف الجهود الأولى لتأسيس البحرية الأندلسية وأهم الأعمال التي قام بها البحارة الأندلسيون للدفاع عن سواحل الأندلس دون الإغفال عن دور الأربطة والجهاد البحري في ذلك.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة قسم هذا البحث إلى ستة أقسام، تحدث القسم الأول عن حركة بناء أسوار المدن، وترميم بعضها بعد تعرضها للتخريب سواء من طرف الغوغاء، والفوضى التي أحدثتها عامة الناس من الأندلسيين كما حدث في قرطبة بعد الفتح الإسلامي، أو من غزوات الأجانب كما حدث في اشبيلية في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، وأما القسم الثاني فقد تناول بناء وترميم بعض المدن الساحلية من قبل الأمراء الأمويين بالأندلس، كبناء مدينة مرسية، وترميم المرية، ومالقة، وغيرهم، وأما القسم الثالث فتحدث عن تشييد الحصون والقلاع، والفرق بينهما، وفي القسم الرابع تم التطرق فيه إلى تشييد الأبراج، وأهميتها الحربية، وتحدث القسم الخامس عن جهود الأمراء الأمويين في تأسيس البحرية الأندلسية، وأهم المراسي والموانئ الأندلسية المشهورة التي تدعمت بدور لصناعة السفن في طرطوشة، ولقنت، ودانية، وبجانة، وغيرها، كما تطرق هذا القسم إلى دور بعض الجماعات البحرية المستقلة عن قرار وسلطة حكام الأندلس، الذين استطاعوا السيطرة على بعض الجزر في حوض بحر الشام، وتناول القسم السادس والأخير عن الأربطة ودورها في الجهاد البحري وحماية الثغور من اعتداءات وغزوات الأوربيين الأجانب كالإفرنج، والنورمان بصفة خاصة مع ذكر بعض الأربطة المشهورة في تلك العصور كرباط الجزيرة الخضراء، ورباط أشبونة، وغيرهما.

### 1. بناء أسوار المدن

اعتنى المسلمون بتحصين مدن الأندلس حماية لها من غارات العدو، والغوغاء من عامة الناس منذ الفتح الإسلامي، وتعد مدينة قرطبة أولى هذه المدن، فبعد تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس قام الأمير عبد الرحمن الداخل بترميم سور المدينة سنة 150هـ/767م، وهو العمل الذي كان يريد أن يقوم به والي الأندلس السمح بن مالك الخولاني (100-102هـ/719-721م) إذ بعد أن رمم القنطرة المهدمة بالحجارة الضخمة من

أجزاء السور الروماني المهدم من الناحية الغربية سعى إلى ترميم سور قرطبة لكن المنية عاجلته قبل إتمام هذا العمل، وكان سور المدينة قد تعرض للعطب في بعض أجزائه خاصة في سورها القبلي والغربي. (سالم،1981، ص412).

وأما مدينة اشبيلية فقد تم تشييد سورها، بعد أن تعرضت المدينة إلى التخريب من طرف النورمان بعد غزوتهم الأولى على الأندلس سنة 229هـ/843م؛ فقد كانت إستراتيجيتهم في هجومهم على الأندلس اجتناب مهاجمة الأماكن المحصنة، والسواحل المجهزة بوسائل الدفاع والحراسة، والإغارة على السواحل المكشوفة في عمليات السلب والنهب، والتي كانت سواحل الأندلس المطلة على بحر الظلمات وكذلك المطلة على بحر الشام هدفا لتلك الغارات، ولم يجد هؤلاء الغزاة أي صعوبة في اختراق وغزو مدينة أشبونة، وقادس، وشذونة، واجتياز نهر الوادي الكبير من مصبه، والمرور عبره إلى مدينة اشبيلية للإغارة عليها، واحتلالها، وما أنجر عنها من قتل وسلب ونهب، وكانت لهذه العمليات الأثر الواضح في التخطيط المعماري مستقبلا وإعادة النظر في هندسته من خلال تدعيم المدن بالتحصينات اللازمة، وذلك بوضع حواجز عمرانية دفاعية تكمن في بناء الأسوار حول المدن التي تعرضت للغزو وكذلك للمدن المهددة؛ فقد أثبتت هجمات النورمان مدى ضعف تحصينات مدينة اشبيلية إحدى كبريات حواضر الأندلس؛ إذ كانت مكشوفة سهلة الاختراق (طقوش، 2005، ص226).

**2. بناء وترميم المدن الساحلية**

ومنها على سبيل المثال مدينة مرسية المطلة على الساحل الشرقي للأندلس (الحموي، 1977، ج8، ص24)، وهي قاعدة كورة تدمير، وقد شيدها الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة 210هـ/825م بعد أن أمر بتخريب مدينة تدمير التي كانت وكر لبعض المتمردين (ابن خاقان، 1983، ص69)، (مؤنس، 1959، ص410). ومن المدن البحرية التي اعتنى بها الأمويون في الأندلس مدينة المرية التي أتخذ بها عبد الرحمن الناصر دار لصناعة السفن، ويشير العذري بأن هذه المدينة كانت مقسمة إلى قسمين: **الأول** فيه المراكب البحرية والعدة، والقسم **الثاني** توجد فيه القيسارية أي الطريق الذي تتوزع فيه الحوانيت. (العذري، 1965، ص86)، (سالم، 1985، ص218). ويضيف ابن غالب في كتابه فرحة الأنفس: "**وبالمرية دار الصنعة وصورها على ضفة البحر، قد استقرت فيها العدة والآلات للسفن ولما يقوم به الأسطول**" (ابن غالب، 1955، ص283).

وقد ظهرت أهمية مرسى المرية كقاعدة بحرية للأسطول الأندلسي منذ سنة 328هـ/939م عندما عين عبد الرحمن الناصر واليه على بجانة جعفر بن عثمان الكاتب الذي اتخذ من مرسى المرية نقطة انطلاق للعمليات البحرية الأندلسية في ذلك العصر. (العذري، 1965، ص81). وقد تم اختيار المرية كمرفأ لأساطيل الأندلس نظرا لحصانتها من جهة البر، وكثرة حصونها المتوزعة حولها مثل قصبة المرية المعروفة بقلعة خيران، وحصن برجة الواقع في الجنوب الغربي من المرية في واد شديد الخصب، وحصن شنش الواقع على

مرحلة منها، وحصن القبطة الذي يقع في الجنوب الشرقي من خليجها، وساعدت كل هذه الحصون في تدعيم نظامها الدفاعي وزيادة مناعتها (سالم، العبادي، 1969، ص112).

وإلى جانب مرسية، والمرية كانت العديد من المدن والنقاط الساحلية التي كان يرسو فيها الأسطول البحري الأندلسي، ومنها مدينة مالقة التي سماها العمري بدار الأسطول (العمري، 1988، السفر الثاني، ص47)، والمنكب القريب من مدينة غرناطة الذي يعد مرفأ للسفن (القلقشندي، 1987، ج5، ص ص 218-219) واشتهرت الجزيرة الخضراء بوجود أحسن المراسي بها للجواز (ابن سعيد المغربي، 1955، ج1، ص 320)، ودانية التي قال في حقها الجغرافي الشريف الإدريسي: "**وهي مدينة تسافر إليها السفن، وبها ينشأ أكثرها... ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق، ومنها يخرج الأسطول للغزو**" (الشريف الإدريسي، 1975، ص 282). وأما مدينة شلب فقد وصفها الحميري بأنها تقع: " **في بسيط من الأرض عليها صور حصين، والبحر منها في الغرب على ثلاثة أميال، ولها مرسى في الوادي، وبها الإنشاء**" (الحميري، 1984، ص342).

### 3. تشييد الحصون والقلاع

الحصون مفردها حصن، وهو: "**كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه**" (الفراهيدي، (د.ت)، ج3، ص 118)، وأما القلاع ومفردها القلعة فهي: برج حصين يشيد في موقع يصعب الوصول إليه وغالبا ما يكون على قمة جبل، أو في موقع مشرف على بحر، وكثيرا ما كانت تنشأ القرى حول القلاع لما تشكله من حماية أمنية لها. (غالب، 1988، 319). والفرق بين الحصون والقلاع هو أن الحصون أكبر من القلاع مساحة، وأكثرها ملائمة لسكن عامة الناس.

اعتنى المسلمون في الأندلس بعد الاستقرار واستتباب عمليات الفتح الإسلامي بإنشاء الحصون، وعرفت في الأندلس بمصطلح: "**القصاب**"؛ إذ كانت مراكز دفاعية ومخازن للمؤن، ومحطات على الطريق عندما يسيرون لغزو الممالك الإسبانية في الشمال، ولهذا فقد اهتم الأمويون بإنشاء سلسلة أو خط من الحصون يمتد من طليطلة إلى مدينة سالم، وهذا الخط هو الذي عرف بوادي الحجارة. (الشمسي، 2016، ص191).

ومن الحصون التي شيدها الأمويون بالأندلس حصن المدور بالقرب من قرطبة الذي أسسه عبد الرحمن الداخل سنة 142هـ/759م. (سالم،1981، ص413)، وأما الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط فيعد أكثر الأمراء تشييدا للحصون والقلاع خاصة في ثغر طليطلة لكثرة الثوار، والخارجين عن سلطته، ومن أشهر الحصون التي شيدت في عهده نذكر على سبيل المثال لا الحصر: حصن طلمنكة، وحصن "**بِنَّه فُرَاطة**"، وحصن مجريط، وغيرهم. (ابن حيان القرطبي، 1973، ص132).

وأما أبرز القلاع التي شيدت في الأندلس فنذكر على سبيل المثال: قلعة أيوب، وقلعة رباح (الحميري، 1984، ص469)، وقلعة أوريط (الحموي، 1977، ج1، ص279).

### 4. تشييد الأبـراج

يعد البرج عنصرا معماريا حربيا مهما في المنظومة الدفاعية بالأندلس؛ فهو أقوى جزء من التحصينات المعدة للدفاع، وتنفيذ الرمايات، ولقد وجدت الأبراج في مقدمة الأسوار، وهي من الأبنية الدفاعية التدعيمية التي أقامها المسلمون منذ العصور الأولى التي تلت الفتح حرصًا منهم على أمنهم، والدفاع عن بلدهم. (الخرخوري، 1998، ص12). وقد نالت الأبراج اهتماما كبيرا لدى الأندلسيين، ويرجع هذا ربما إلى تيقنهم من الدور العسكري الهام للأبراج، ولذلك أقاموها في نقاط الحراسة المبنية في الأعالي التي تشرف على أكبر مساحة ممكنة لاستطلاع العدو، وإرسال إشارة ضوئية، وعادة ما يلحق البرج بسور المدينة أو القلعة أو القصبة، وأحيانا يكون منفصلا.

ومن أشهر الأبراج التي شيدها الأندلسيون برج قلعة طريف الذي أنشأه الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 349هـ/ 960م، ومازال هذه البرج يحتفظ باللوحة التاريخية التي تسجل تاريخ البناء إلى اليوم، وأما في عصر الخليفة الحكم المستنصر (350-365هـ/961-976م) شيدت الكثير من الأبراج في مختلف نواحي الأندلس، ومنها على سبيل المثال لا الحصر البرج الذي زود به حصن بانيوس دي إنثيا (Banos de Encina) سنة 357هـ/ 968م. (سالم،1981، ص413).

### 5. الاهتمام بالبحرية وتطويرها

لم يكن اهتمام الأندلسيين بالبحرية وليدة صدفة أو رد فعل لغزوات المعتدين الأجانب خاصة الأوروبيين، ومن غير المعقول أن ننكر وجود سياسة بحرية سابقة لعصر الإمارة الأموية، وإلا ما كان لوجود المسلمين في الأندلس أن يكون لولا محاولاتهم الأولى التقليدية لعبور مضيق جبل طارق والوصول إلى سواحل الأندلس مستمدين في ذلك عناية سابقيهم من المسلمين بهذا الفن الحربي –غير التقليدي في ذلك العصر– وهو لا يخرج عن إطار تمكن إخوانهم المسلمين في المشرق في هذا الميدان من خلال معرفة أسرار بعض أدوات الملاحة البحرية، واستغلالها في أغراض الفتوحات الإسلامية، كيف لا وقد ذكر المولى عز وجل فضل البحر في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (سورة إبراهيم، الآية 32)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ (سورة الشورى، الآيات 32-33)، وفي بعض المواضع من الكتاب العزيز الحكيم أقسم العلي القدير بالبحر في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (سورة الكهف، الآية 109).

ومن هذا الوحي المبارك أدرك المسلمون أهمية البحر كوجهة أخرى متممة لفتوحاتهم البرية؛ فأخذوا في إنشاء دور الصناعة لبناء السفن، وهذا على طول سواحل بحر الشام إلى المغرب مرورا بمصر، هذه المرافئ التي كان لها الدور الاستراتيجي في فتح الأندلس، وصقلية، وجنوب إيطاليا.

وتميزت شبه جزيرة ايبيرية بطول سواحلها التي تشرف شرقا وجنوبا على بحر الشام، وغربا على بحر الظلمات، وعلى الرغم من أهمية هذا الامتياز الجغرافي الإستراتيجي إلا أنه شكل خطرا من أي غزو خارجي محتمل، ولهذا السبب رسم الأمويون في عهد الإمارة خطة لانتهاج سياسة بحرية تعتمد على ترميم دور الصناعة القديمة المنتشرة في المدن التالية: طرطوشة (Tortosa)، وطركونة (Tarragona)، ودانية (Dania)، ولقنت (Alicante)، وبجانة (Pechina)، واشبيلية، والجزيرة الخضراء، تلك المدن والمرافئ توزعت على طول امتداد السواحل، وبهذا جاءت فكرة إنشاء القواعد البحرية للحط والإقلاع، وتعد ظاهرة تحصين الشواطئ، وإنشاء الأساطيل من بين الأدوات الأساسية للسياسة البحرية، زيادة على ما سبق فقد وُجدت المواد الأولية المساعدة لبناء السفن، وهذا من خلال توفر الخشب والحديد الذي يكثر في طرطوشة، ودانية، ودار لصناعة الحديد في موانئ جزيرة شلطيش (Saltes) بالقرب من مدينة اشبيلية التي بنيت فيها كذلك دار لصناعة الأسطول البحري وبناء السفن، حيث تم تدعيمها بآلات النفط التي كانت حكرا على البيزنطيين حيث اكتشف المسلمون أسرارها، وكيفية صناعتها ( ابن القوطية القرطبي، 1989، ص83)، (ارشيبالد. ر، (د.ت)، ص214).

وشيد الأمير عبد الرحمن الأوسط دور لصناعة السفن في كل من قرمونية، ومرسية، وبلنسية، وسيكون لهذه الدور الفضل في تدعيم أساطيل حكام قرطبة الذي سيأتون من بعد الأمير عبد الرحمن الأوسط خاصة في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر(350-300هـ/912-961م)، إذ أصبح الأسطول الأندلسي في عهده قوة إسلامية ثانية منافسة للفاطميين في شؤون البحر (سالم، 1981، ص238).

وكما اعتمد خلفاء بني أمية بشؤون البحر في المشرق على القبائل الكلبية( المقري التلمساني، 1998، ج1، ص236)، اعتمد أمراءها في الأندلس على القبائل اليمنية وفرع قضاعة منها بالخصوص الذين أطلق عليهم اسم البلديين(سالم، 1981، ص120)، وظهرت طوائف بحرية وافدة نزلت مدن الساحل الشرقي، زيادة على جماعات بحرية أخرى أندلسية من المولدين، والبربر، والمستعربين في مناطق عرفت باسم البلاد البحرية، غير أن هذه الجماعات لم تكن خاضعة للسلطة المركزية، وكانت تعمل لحسابها الخاص، وعملت على غزو جنوب بلاد فرنسا وجزر الحوض الغربي لبحر الشام، واحترفت هذه الجماعات التجارة بين سواحل المغرب والأندلس.

وعرف عن نشاط تلك الجماعات بأنه محدود، ومحصور الأهداف، مقتصرا على سبي الغنائم، والانشغال بالتجارة، وتمركزت تلك الجماعات في منطقة تقع على الساحل الشمالي الشرقي من الأندلس بين طرطوشة وبلنسية، خاضعين لصاحب سرقسطة. (سالم، 1991، ق1، ص587).

وعلى الرغم من هذا فقد سجل التاريخ لتلك الجماعات بعض النشاطات، والإنجازات كان لها الفضل في المساهمة لإرساء نواة البحرية الأندلسية المستقلة، ومن بين أهم هذه الإنجازات ما يلي:

### 1.5. الاستيلاء على جزيرة ايقريطش

حيث أسست هذه الجماعات قاعدة بحرية عرفت باسم الخندق، ومدينة كانديا (Candia) الحالية هي من تخطيطهم، وهو تحريف لاسم الخندق، وكان ذلك سنة 230هـ/845م من طرف أبي حفص البلوطي القرطبي (ارشيبالد. ر، (د.ت)، ص25)، وأصبحت هذه الجزيرة منذ ذلك التاريخ قاعدة أندلسية، ومصدر تهديد مستمر لجزر، وسواحل الدولة البيزنطية إلى غاية سنة 350هـ/961م حيث استولى عليها القائد نيسفور فوكاس البيزنطي (نعيم، 1983، ص40)، (مؤنس، 1993، ص116).

### 2.5. فتح صقلية 212هـ/ 827م

بدخول قطع بحرية قادمة من طرطوشة إلى جانب الأغالبة لحصار بلرم التي سقطت سنة 216هـ/831م، وساهم هؤلاء الأندلسيين مساهمة فعالة في فتح المدينة سنة 216هـ/831م، ومن هذا التاريخ أصبحت بلرم أهم قاعدة بحرية حربية، وأعظم مرفأ للقوة الإسلامية بصقلية، وتمتعت منذ ذلك الحين بنوع من الحكم الذاتي. (ارشيبالد. ر، (د.ت)، ص25)، (مؤنس، 1992، ص278)، (ميكيلي، 2003، ص353).

بعد هذا العرض الموجز لأهم إنجازات هذه الجماعات البحرية الأندلسية المغامرة في عصر الإمارة الأموية في حوض بحر الشام، ومدى مساهمة تلك الجماعات في مجال الفن البحري رغم بدائيته إلا أن ما حدث للأندلس عند تعرضها لغزو النورمان سنة 229هـ/843م وما انجرت عنه من خسائر مادية وبشرية، إلا أنه نبه حكام الأندلس إلى نقاط ضعف الدولة في نظامها الدفاعي البحري (سالم، العبادي، 1969، ص112)، وارتقت البحرية الأندلسية التي انتهجتها الإمارة الأموية في قرطبة خطوات واضحة، حيث ساهم الأسطول البحري في هذا العصر إسهاما إيجابيا في السيطرة على معظم سواحل بحر الشام، وجزره، وتجلى هذا في محاولة الأمير عبد الرحمن الأوسط الناجحة إخضاع جزر البليار وضمها إلى الأندلس، وهذا الإجراء كان من أهم ثمرات عنايته واهتمامه بتحديث الأسطول البحري، والسياسة البحرية عمومًا، وبضم جزر البليار الثلاثة إلى حظيرة الأندلس سنة 235هـ/849م أصبح يطلق عليها اسم الجزائر الشرقية. (ابن عذارى المراكشي، ج2، ص ص132-133)، (مؤنس، 1995، ص79).

وأصبح للجزائر الشرقية بعد ضمها إلى الأندلس دورًا بارزًا في الدفاع عنها؛ إذ أصبحت قلعة حربية منيعة تحميها من أي خطر قد يحدق بها من جهة السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية، كما ساهمت هذه الجزر في تموينها بخشب الصنوبر الجيد الصالح لبناء السفن، إذ يتوفر بكثرة في جزيرة يابسة، وزيادة على هذا كله ما تميزت به هذه الجزر من موقع إستراتيجي ممتاز يساعد الأندلسيين في الملاحة البحرية حيث تشرف على جزء هام من الحوض الغربي لبحر الشام، وقدمت هذه الجزر طاقات بشرية معتبرة اشتهرت بروح المغامرة، والخبرة المتوارثة عبر الأجيال بشؤون البحر، وأسرار الملاحة. (سيسالم، 1984، ص99).

كل هذه العوامل المجتمعة ساهمت في ازدهار النشاط البحري الأندلسي في عصر الإمارة، وتُرجم هذا عمليا مستقبلا في التصدي لغارات النورمان في عهدي الأمير محمد بن عبد الرحمن(238-273هـ/852-

886م) التي حدثت سنة 245هـ/ 859م، حيث تفاجئوا بقوة التحصينات غير التقليدية التي خلدها الأمير عبد الرحمن الأوسط نتيجة غاراتهم الأولى سنة 229هـ/843م. (سيسالم، 1984، ص99). وتجلى كذلك دور هذه الجزر فيما بعد من خلال الوقوف ضد التوسع الفاطمي، وصد حملات الفرنجة في عصر الخلافة الأموية (316-422هـ/ 929-1031م)، وأصبحت الجزائر الشرقية قاعدة بحرية ينطلق منها المسلمون لغزو شواطئ الدولة الكارولنجية جنوبًا، وأحواض مصب نهر الرون، وكانت هذه الحملات تعتمد على مجهودات الجماعات الخاصة. (عنان، ج1، ص424).

وكان من نتائج التعديات الأجنبية على سواحل الأندلس أن تدعمت البحرية بأسطولين قويين، الأول يجول في بحر الظلمات مهمته حماية سواحل الأندلس من الجهة الغربية ومركزه مرفأ أشبونة، والثاني يجول بحر الشام ومهمته حماية سواحل الأندلس من الجهة الشرقية، والجنوبية ومرفأه مدينة مالقة (Malaga) الواقعة بشرق الأندلس. (مؤنس، 1995، ص79).

ومن هذه الإستراتيجية البحرية التي انتهجها الأمراء الأمويون بالأندلس فإنه بداية من منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، ستظهر في الأندلس قوة بحرية رسمية في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث بن محمد الملقب بعبد الرحمن الناصر حيث يرجع الفضل أساسًا في ميلادها إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط؛ فهو منشئ نواتها، ومؤسسها الفعلي (الشكعة، 1992، ص474)، وأنتجت فاعلية الأندلسيين في شؤون البحر مصطلحات بحرية إسلامية انتقلت إلى اللغات الأوروبية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: لقب أمير البحر، والتي تطلق في اللغات الأوروبية (Admiral)، ودار الصناعة يطلق عليها (Arsenal)، ومصطلح حبل أصبح (Cable)...الخ. (سحر، (د.ت)، ص221).

**6. بناء الأربطة الحربية**

جاء تفسير الرباط في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فقد قال تعالى في إحداها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 200)، والرباط هنا بمعنى الصبر عن الدنيا وهوى النفس، وجاء في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (سورة الأنفال، الآية 60)، بمعنى ربط الخيل، وإعدادها للجهاد وحماية البلاد من هجمات الأعداء، ومن معانيها كذلك: الزاهد، العابد، الحصن، المحرس (بلغيث، 1986، ص35)، وفي دائرة معارف البستاني جاء تفسير الرباط بمعنى العصب أحد عضلات الإنسان الرئيسية (البستاني، (ب.ت)، ج8، ص 515).

وأما التعريف الاصطلاحي المقصود في دراستنا هذه فالرباط هو زاوية إسلامية محصنة يجتمع فيها الفرسان للتأهب من أجل القيام بحملة ما (بلغيث، 1986، ص35).

وانتشرت حركة الأربطة في الأندلس على طول الساحل الشرقي، وهي المناطق التي أطلق عليها في الأدبيات التاريخية مصطلح: " **البلاد البحرية**" (العمري، 1988، السفر الثاني، ص44)، ومن أشهر هذه

الأربطة رباط بجانة الذي عمرته العناصر اليمنية المحترفة في أمور البحر والملاحة، لكن أمراء قرطبة أغفلوا عن ضرورة تحصين الساحل الغربي الأندلسي المطل على بحر الظلمات، وكذا الساحل الجنوبي المطل على بحر الشام ومضيق جبل طارق، ولم يعرف هؤلاء خطورة ذلك إلا بعد أن هاجمها النورمان في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وما خلفه من الأمراء والحكام، ونتيجة لهذا الأمر كان لابد من بناء وتدشين الأربطة والمحارس على طول هذه السواحل أكثر من ضروري ؛ فعمرت بالمرابطين والمتطوعة لحراسة هذه الشواطئ من أي غزو آخر محتمل، لهذا نجد بأن النورمان لما عاودوا الكرة بغزو الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط سنة 245هـ/859-860م وجدوا البحر محروسًا، ومراكب المسلمين مرابطة من حدود سواحل الأندلس مع الإفرنج شرقًا إلى سواحل جيليقية في أقصى شمال غرب شبه الجزيرة الإيبيرية مرورا بالسواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية (ابن حيان القرطبي، 1973، ص308)، (مؤنس، 1993، ص95).

ولم يقتصر دور المرابطين في الدفاع بل تعداه إلى أخذ زمام المبادرة في الهجوم، وتجلى ذلك عمليًّا من خلال اعتماد الأمير عبد الرحمن الأوسط على الجماعة البحرية من المرابطين لإخضاع سكان جزر البليار لنقضهم العهد واعتداءاتهم المتكررة على السفن والثغور البحرية الأندلسية؛ فقد أرسل أسطولا لإخماد تلك الثورة، وإخضاعها إلى طاعته (ابن حيان القرطبي، 1973، ص308)، وكان سكان جزر البليار بمثابة الحلفاء المخلصين للإفرنج في عهد شارلمان 199هـ/814م؛ إذ كانوا بمثابة يد الإفرنج للإغارة على سواحل الأندلس الشرقية، وبعد إخضاع أهلها، وتجديد عهدهم للأمير الأموي الأندلسي عبد الرحمن الأوسط سنة 235هـ/849م أصبحت هذه الجزر بمثابة وقود الجيش الأندلسي في تزويده بالفرق المدربة على الجهاد البحري، وأصبحت الجزائر الشرقية قاعدة عسكرية منيعة لسواحل الأندلس من الجهات الشرقية، والجنوبية، زيادة على هذا فقد تحولت كمحطة لمساندة حملات المسلمين للسيطرة على الحوض الغربي لبحر الشام (بلغيث، 1986، ص ص164-165).

ومن هذا العرض الموجز لأهمية الرباط، هذه الأداة العمرانية، والوحدة الفنية المتميزة التي جمعت بين واجب الدين وواجب الوطن من خلال مظاهر وصور التصوف، والتفرغ للعبادة، والجهاد، لهذا فقد حققت الربط أهدافها من خلال الدفاع عن البلاد الإسلامية سواءً من جهة البر أو البحر، وهو من بين الأهداف التي تأسست من أجله منذ الفتح الإسلامي إلى غاية فترة محل الدراسة وما بعدها، وتجلت أهمية الرباط في عصر الإمارة الأموية بعد غارات النورمان على الأندلس سنة 229هـ/843م، وعلى الرغم من أن حركة الربط انتشرت في بادئ الأمر على طول الساحل الشرقي؛ إذ كانت اسكمبرة (Escombro) الواقعة في مدخل قرطاجنة الحلفاء إلا أن القوة الرئيسية كانت متمركزة في طرطوشة القاعدة البحرية الهامة في الثغر الأعلى الإسلامي (بلغيث، 1986، ص 163).

وفي هذا الإطار لا يمكن الفصل بين انتشار الأربطة وازدهار نشاط البحرية الأندلسية في عصر الإمارة الأموية؛ إذ أن حركة المرابطة والمتطوعة بمثابة الدعامة الأساسية للبحرية الأندلسية، وهي أساس نجاح

الحملات البحرية على جزر الحوض الغربي لبحر الشام. (مؤنس، 1993، ص38). وإذا كان القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد هو العصر الذهبي لأربطة والرباطات، فإن هذه المؤسسة الإسلامية الهامة ستعرف في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد مرحلة جديدة أيام المرابطين والموحدين، إذ ستعد الدعامة الأساسية التي قامت عليها الدولتان في حملات الدفاع والتوسع.

ومن هنا وجدت الأربطة والمحارس الساحلية إلى جانب القواعد البحرية على طول سواحل الأندلس الشرقية، والجنوبية، والغربية لردع الغارات البحرية المفاجئة التي دأب النورمان أو أي جنس أجنبي غازي في شنها، لهذا كان من أشهر الأربطة الأندلسية في هذا المجال رباط المرية، ورباط طرطوشة، على الساحل الشرقي، ورباط الجزيرة الخضراء في الجنوب، ورباط أشبونة على الساحل الغربي، ورباط فار أو جبل فاروق على ساحل مدينة مالقة وقد عرف باسم رباط فارو. (العبادي، 1968، ص 299).

**خاتمة**

تنوعت التحصينات الدفاعية الأندلسية بين منشآت عمرانية عسكرية جديدة كالحصون، والقلاع، والأبراج وبناء بعض المدن كمرسية مثلا، وبين مباني قديمة اعتنى الحكام بترميمها كالأسوار كسور قرطبة، وسور اشبيلية زيادة على ترميم بعض المدن التي كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي كمدينة المرية على سبيل المثال.

وقد دعم حكام بني أمية هذه التحصينات بإرساء قواعد البحرية الأندلسية؛ فقاموا بإنشاء المرافئ والمراسي في المدن الساحلية في طرطوشة، وطركونة، وبلنسية، ودانية، ولقنت، ودعموها بدور لصناعة السفن، وبهذه الدعائم انتقلت البحرية الأندلسية من وضع دفاعي في حماية السواحل إلى وضع هجومي وأخذ زمام المبادرة بغزو بعض جزر بحر الشام؛ فسيطروا على جزيرة ايقريطش (كريت) في الحوض الشرقي لبحر الشام من سنة 230هـ/845م إلى غاية سنة 350هـ/961م بالإضافة إلى ذلك ساهموا بجانب الأغالبة في فتح جزيرة صقلية سنة 212هـ/827م انطلاقا من ميناء طرطوشة، وبرزت نتائج إرساء دعائم البحرية الأندلسية في بدايات عصر الخلافة الأموية بالأندلس في فترة حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر، إذ أصبحت البحرية الأندلسية ظاهرة عسكرية مسيطرة على الحوض الغربي لبحر الشام إبان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لها قوتها وهيبتها أمام القوى البحرية الأخرى المعروفة آنذاك سواء منها المغربية (الفاطمية) أو الأوروبية (الإفرنج، والنورمان).

وأخذت الأربطة البحرية نصيبها من هذا التميز الأندلسي؛ إذ ساهمت في حماية الثغور البحرية على طول الساحل الشرقي، والجنوبي، والغربي، ومن أشهر الأربطة التي عُجَّت بالمرابطين والمجاهدين رباط بجانة الذي عمرته العناصر اليمنية المتخصصة بشؤون البحر؛ فكان هو ورباط طرطوشة حصنا منيعا لسواحل شرق الأندلس، وأما رباط الجزيرة الخضراء فقد كان الرباط المسئول عن حماية سواحل الأندلس من ناحية الجنوب، فيما تكفل رباط أشبونة بحراسة الساحل الغربي المطل على بحر الظلمات، وأما الأربطة التي شيدت في الجزر

الشرقية (جزر البليار) فقد أصبحت بمثابة مركز لإمداد لحملات المسلمين للسيطرة على الحوض الغربي لبحر الشام.

**المراجع**


-ارشيبالد.ر، لويس، (د.ت)، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

-البستاني، بطرس، (د.ت)، **دائرة المعارف**، (د.ب)، (د.ن).

- الحموي، ياقوت شهاب الدين بن عبد الله، (1977)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر.

-الحميري، محمد بن عبد المنعم، (1984)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، بيروت، مكتبة لبنان.

- ابن حيان القرطبي، أبو مروان بن خلف، (1973)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، بيروت، دار الكتاب العربي.

-ابن خاقان، الفتح بن محمد، (1983)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، دار عمار، مؤسسة الرسالة.

-الخرخوري، حسين أحمد، 1998، **الأبراج تراث وتاريخ**، الإمارات العربية المتحدة، مطبعة النخيل.

- سالم، السيد عبد العزيز، العبادي أحمد مختار، (1969)، **البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، بيروت، دار النهضة العربية.

- ـــــــــــــ، (1981)، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، بيروت، دار النهضة العربية.

- ـــــــــــــ، (1985)، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

-ـــــــــــــ، (1991)، **بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار**، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

-سحر، عبد المجيد، **تطور الجيش العربي في الأندلس**، عمان، وزارة الثقافة الأردنية.

-ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، (1955)، **المغرب في حلي المغرب**، القاهرة، دار المعارف.

-سيسالم، عصام سالم، (1984)، **جزر الأندلس المنسية**، بيروت، دار العلم للملايين.

- الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد، (1975)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، بريل، نابولي بروستات نوجدوني باتا فورم.

-الشكعة، مصطفى، (1992)، **الأدب الأندلسي**، بيروت، دار العلم للملايين.

-الشمسي، ندا أحمد، (2016)، **التأثير الحضاري المتبادل بين مسلمي الأندلس والنصارى الإسبان في العصر الإسلامي (1492-711-897-92م)**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

-طقوش، محمد سهيل، (2005)، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، بيروت، دار النفائس.

-العبادي، أحمد مختار، (1968)، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، الإسكندرية، (د.ن).

-ابن عذارى المراكشي، أبو عبد الله محمد، (د.ت)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، بيروت، دار الثقافة.

-العذري، ابن الدلائي أحمد بن عمر بن أنس، (1965)، **ترصيع الأخبار، نصوص من الأندلس**، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية.

-العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله، (1988)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، فرانكفورت، معهد العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت.

-عنان، محمد عبد الله، (1960)، **دولة الإسلام في الأندلس**، القاهرة، مؤسسة الخانجي.

-غالب، عبد الرحيم، (1988)، **موسوعة العمارة الإسلامية**، بيروت، جروس بروس.

-ابن غالب، محمد بن أيوب، (1955)، **فرحة الأنفس في أخبار الأندلس**، القاهرة، معهد المخطوطات العربية.

-الفراهيدي، (د.ت)، **كتاب العين**، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

-القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (1987)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، بيروت، (د.ن).

-ابن القوطية القرطبي، أبو بكر محمد، (1989)، **تاريخ افتتاح الأندلس**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

-المقري التلمساني، أحمد بن محمد، (1998)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، بيروت، دار الفكر.

- مؤنس، حسين، (1992)، **تاريخ المغرب وحضارته**، ج1، بيروت، العصر الحديث للنشر والتوزيع.

- ـــــــــــــ، (1993)، **تاريخ المسلمين في البحر المتوسط**، (ب.ب)، الدار المصرية اللبنانية.

- ـــــــــــــ، (1995)، **موسوعة تاريخ الأندلس**، القاهرة، مكتبة النهضة الدينية.

-ـــــــــــــ، (1959)، **فجر الأندلس**، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر.

-ميكيلي، أماري، (2003)، **تاريخ مسلمي صقلية**، م1، فلورانسا، (ب.د).

**المقالات**

-نعيم، فرح، (1983)، **الصراع العربي البيزنطي للسيطرة على البحر المتوسط في القرن الثامن ميلادي**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد: 12، جامعة دمشق.

**الأطروحات**

- بلغيث، محمد الأمين، (1986)، **الربط بالمغرب الإسلامي**، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر.